

الفساد مظاهره، أسبابه، علاجه، دراسة في ضوء القرآن الكريم

د. عائشة بنت محمد بن مستور الشمراني

أستاذ مساعد، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الشريعة والقانون، جامعة تبوك

المملكة العربية السعودية

ai.alshamrani@ut.edu.sa

تاريخ تسلم البحث: ٢٠٢٤/٦/٢٠ م تاريخ قبول البحث: ٢٠٢٤/٧/١٥ م

الملخص:

تناولت الدراسة الحديث عن: الفساد مظاهره، أسبابه، علاجه، دراسة في ضوء القرآن الكريم وهدفت الدراسة إلى تحديد مفهوم الفساد كما يصوره آيات القرآن الكريم، وبيان أسبابه وصوره - ووضحت الدراسة أن البحث يتكون من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، وذكرت المقدمة أهمية الموضوع وأسباب اختياره والدراسات السابقة ومنهج البحث وخطته، والتمهيد حول التأصيل لمصطلح الفساد في ضوء القرآن الكريم، وبينت المبحث الأول: المبحث الأول: مظاهر الفساد كما صورتها آيات القرآن، والمبحث: الثاني أسباب الفساد كما تصوره آيات القرآن الكريم، والمبحث الثالث: الأسلوب القرآني في علاج الفساد والنهي عنه، واستخدمت الدراسة المنهج الاستنباطي، والمنهج الاستقرائي التحليلي، وذكرت جملة من النتائج من أهمها: أن انتشار الفساد في المجتمع نذير خطر ورسول قحط وعقوبة ربانية عامة، كما ذكرت أن للفساد أسباب عدة تؤدي إلى ظهوره في المجتمع وليس سببا واحدا وإن كانت كلها في الأصل تعود إلى ضعف الإيمان وقلة الصلة بالله تعالى.

الكلمات المفتاحية: الفساد، مظاهره، الأسباب، العلاج، القرآن الكريم، الخطر، العقوبة

ربانية.

Corruption, its manifestations, its causes, its treatment - a Study in the Light of the Holy Quran

Dr. Aisha bint Muhammad bin Mastur Al-Shamrani

Assistant Professor, Department of Islamic Studies, College of Education and Arts, University of Tabuk
Saudi Arabia

ai.alshamrani@ut.edu.sa

Date of Receiving the Research: 20/6/2024 Research Acceptance Date: 15/7/2024

Abstract:

The study dealt with: corruption, its manifestations, causes, and treatment, a study in the light of the Holy Qur'an. The study aimed to define the concept of corruption as depicted in the verses of the Holy Qur'an, and to explain its causes and forms. The study explained that the research consists of an introduction, a preface, three chapters, and a conclusion. The introduction declared the importance of the topic and its selection reasons, previous studies, the research methodology and plan. The preface was about the rooting of the term corruption in the light of the Holy Qur'an. The first chapter displayed the manifestations of corruption as depicted in the verses of the Qur'an. The second chapter addressed the causes of corruption as depicted in the verses of the Holy Qur'an. The third chapter was about the Qur'anic method in treating corruption and forbidding it. The study used the deductive approach and the inductive analytical approach, and reported a number of results, the most important of which are: that the spread of corruption in society is a dangerous harbinger, a messenger of drought, and a general divine punishment. It also mentioned that corruption has several causes that lead to its appearance in society, and it is not a single cause, even if they are all in the origin spring from weak conviction and lack of connection with God Almighty.

Keywords: corruption, its manifestations, causes, treatment, the Holy Quran, danger - divine punishment.

مقدمة:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على من لا نبي بعده وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين وبعد:

فقد جاءت شريعة الإسلام بحاجات رئيسة، وحقوق أساسية ضمنتها لكل من الفرد والمجتمع، وشرعت لكل منهم حقوقا وجعلت عليه واجبات، بما يضمن لهم السعادة في الدنيا والفوز والفلاح في الآخرة.

كما جاء الإسلام مناديا بحفظ الضروريات الخمس التي لا تستقيم الحياة بدونها وهي: (الدين - العرض - النفس - المال - العقل)، كما أنه جعل أي تهديد لهذه الكليات، أو الضروريات مناف لشرع الله تبارك وتعالى.

وقد وصف المولى تبارك وتعالى التعدي، أو التهديد لأي من هذه الضرورات بالفساد في الأرض، وسمى فاعله بالمفسد، والمتأمل في كتاب الله تعالى بعين البصيرة سيجد أن القرآن أولى اهتماما كبيرا بهذا الموضوع، إذ جاء الحديث عن موضوع الفساد في القرآن الكريم فيما يقارب خمسين آية، تنوعت بين نهي عن هذه الظاهرة، وبيان لأسبابها وعرض لنماذج من المفسدين خلال العصور، وانتهاء بفرض العقوبات الصارمة لمن أفسد في الأرض بأي شكل من أشكال الفساد، وهو ما سأبينه في ثنايا هذا البحث بمشيئة الله.

أولا: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١ - تكمن أهمية دراسة هذا الموضوع والبحث فيه أنه يبين وبشكل تام أن الإسلام حارب الفساد منذ اليوم الأول لبعثة الرسول ﷺ ابتداء من التحذير من فساد العقيدة الناشئ عن عبادة غير الله، ومرورا بالحث على مكارم الأخلاق وانتهاء بوضع منهج حياة كامل شامل يقضي على الفساد بكل صوره وأشكاله.

٢ - أصبح الفساد آفة العصر وهو ظاهرة انتشرت في أغلب المجتمعات إن لم يكن كلها ولذا رأيت أن أبرز اهتمام القرآن الكريم بهذا الموضوع حرصا منه على كل ما فيه صلاح البلاد والعباد.

٣ - الرغبة في محاولة الوقوف على أسباب هذه الظاهرة كما تصورها آيات القرآن الكريم حيث إن الوقوف على أسباب أي ظاهرة عموما يفيد كثيرا في القضاء عليها.

- ٤ - نشر التوعية بين أفراد المجتمع، وتحذيرهم من هذه الظاهرة، وبيان أنواعها وكيف جاء القرآن في أكثر من آية بالنهي الصريح عنها.
- ٥ - محاولة إبراز رسالة الإسلام من خلال عرض ما تضمنته آيات القرآن الكريم من تأكيد على السلوك الحسن، ونهي عن الفساد وتربية سليمة للنفوس، وتكوين مجتمع قوي متمسك بكل مبادئ الحق والصالح.
- ٦ - التأكيد على أن الفساد سبب كل تخلف ورجعية أصابت الأمة، وتفشيها في المجتمع سبب للإطاحة بأحلام أبناء الأمة وشبابها، وسبب في القضاء على كل المبادئ التي جاء الإسلام بالدعوة إليها، لهذا كان لزاماً أن يؤكد الباحثون في كل المجالات على محاربة الإسلام لهذه الظاهرة مع توضيح للآيات المتضمنة لذلك.
- ٧ - الرغبة في تكوين ملكة علمية تساعد على استنباط المعاني من الآيات ذات الصلة وتقسيمها تقسيماً موضوعياً، ودراستها دراسة واعية وعميقة.

ثانياً: أهداف البحث في الموضوع:

تحديد مفهوم الفساد كما تصوره آيات القرآن الكريم، والفرق بينه وبين الألفاظ ذات العلاقة

١. الوقوف على أسباب ومظاهر الفساد كما تصورها آيات القرآن الكريم.
٢. ذكر نماذج للمفسدين في الأرض كما عرضت لها آيات القرآن الكريم.
٣. توضيح شدة العقوبة المنزلة على المفسد للتأكيد على حرص الإسلام على تقويم وتهذيب النفس الإنسانية.

ثالثاً: الدراسات السابقة:

فإنه بعد البحث والتقصي، حسب جهد الباحثة والاطلاع على قوائم الرسائل الجامعية في كل من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وجامعة أم القرى بمكة المكرمة، والاتصال بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، تبين للباحثة أنه ليس هناك دراسة لها علاقة مباشرة بالموضوع، ولكن هناك بعض الكتابات والتي تمكنت بجهد القاصر من الوقوف عليها ومنها:

- ١ - الفساد الاقتصادي أنواعه أسبابه. آثاره وعلاجه، المؤلف: د. عبد الله ابن حاسن الجابري .

٢- الفساد في ضوء القرآن الكريم، أسبابه، نتائجه، عواقبه، بحث منشور في مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية للباحث عبد الرقيب خالد عبدالله.

٣- الفساد والمفسدون، دراسة قرآنية موضوعية، رسالة ماجستير، إعداد الطالب ضيائي السوس، الجامعة الإسلامية - غزة.

٤- الفساد ومكافحته من منظور إسلامي للدكتور عبدالحق حميش، مجلة دراسات وأبحاث ٢٠١٥ م. والفرق بين هذه الدراسات وبين دراستي: أن هذه الدراسة تتحدث عن الفساد في من منظور عام لكن دراستي دراسة تفسيرية تتحدث عن (الفساد أسبابه - مظاهره - علاجه - دراسة في ضوء القرآن الكريم -).

رابعاً: منهج البحث:

أسير بعون الله ﷻ وتوفيقه في هذه الدراسة معتمداً على المناهج العلمية التي تخدم البحث في كافة جوانبه، وهي المنهج الاستنباطي^(١)، الذي يقوم على دراسة الواقع، ويهتم بوصفه وصفاً دقيقاً، واستنباط الآيات ذات الصلة بالموضوع، للوصول إلى حقيقة هذه الظاهرة، ومن ثم محاولة الوقاية منها، ومحاربتها على كل المستويات ثم المنهج الاستقرائي التحليلي^(٢)، وقد استخدمته في تحليل النصوص الخاصة بموضوع الدراسة، وكذلك بعض المناهج العلمية الأخرى التي يقتضيها البحث.

(١) هو: الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة. المرشد في كتابة الأبحاث - حلمي محمد فوده وعبد الرحمن صالح عبد الله - (ص٤٢).

(٢) يقوم هذا المنهج على تحليل ظاهرة من الظواهر للوصول إلى أسباب هذه الظاهرة، والعوامل التي تتحكم فيها، واستخلاص النتائج لتعميمها - أبجديات البحث في العلوم الشرعية - د. فريد الأنصاري - (ص٩٦) بتصرف يسير، والاستقراء في اللغة تعني من قرأ الأمر أي تبعه، ونظر في حاله، أو من قرأت الشيء: بمعنى جمعه وضممت بعضه إلى بعض، والمراد به هنا: تتبع الموضوع واستقراءه في مظانه وجمع المعلومات المتعلقة به - لسان العرب - محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) - (١٥/١٧٥).

وأما منهجي في البحث فهو كالآتي:

- أ - قمت بإذن الله بعزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآيات كما قمت بتخريج الأحاديث والآثار، فما كان في الصحيحين فذلك دليل كافٍ على صحته، وما لم يكن فيها قمت بتخريجه مع ذكر الحكم عليه، مستعيناً بكلام الأئمة المحققين في ذلك.
- ب - قمت بإذن الله بالرجوع إلى المصادر الأصلية في التفسير وعلوم القرآن لجمع مادة البحث وتوثيقه، من أجل تأصيل هذا الموضوع المهم، والرجوع به إلى مصادره الأصلية.
- ج - التزمت الأمانة العلمية حيث نسبت كل قول إلى قائله، ومصدره، وأذكر في الهامش اسم الكتاب، ومؤلفه، والمترجم والمحقق إن وجد، ورقم الجزء ثم رقم الصفحة، ثم دار النشر - ورقم الطبعة، وتاريخها إن وجد ذلك وعند عدم وجودها أذكر كلمة "بدون". وإن كان النقل فيه تصرف أشير إلى ذلك، وإن كان هناك اختصاراً قلت باختصار وهكذا.
- د - استوفيت توثيق المرجع في فهرس المصادر والمراجع في نهاية البحث، وعند ذكره في ثانيا البحث اكتفي بذكر: اسم الكتاب، والمؤلف، ورقم الصفحة والجزء.
- هـ - ذيلت بحثي بالخاتمة، وأهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها ثم فهرس المصادر والمراجع.

خامساً: هيكل البحث:

قسمت هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث على النحو التالي، المقدمة وضممتها الحديث عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة وأهداف البحث ومنهجه وخطته.

التمهيد: ويشتمل على

أولاً: المفهوم اللغوي والاصطلاحي للفظ الفساد.

ثانياً: الفساد في السياق القرآني.

ثالثاً: نماذج فاسدة ذكرت في القرآن الكريم.

المبحث الأول: مظاهر الفساد كما صورتها آيات القرآن وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول: عدم التأدب مع الله تعالى.

المطلب الثاني: القتل وترويع الناس.

المطلب الثالث: قطع الأرحام.

المطلب الرابع: السحر.

المطلب الخامس: الانحراف الأخلاقي.

المبحث: الثاني أسباب الفساد كما تصوره آيات القرآن الكريم وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الشرك بالله، واعتقاد تعدد الآلهة

المطلب الثاني: اتباع الهوى.

المطلب الثالث: فساد الملوك.

المطلب الرابع: ترك موالاة المؤمنين والبراءة من المشركين.

المبحث الثالث: الأسلوب القرآني في علاج الفساد والنهي عنه، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: حرمان المفسد من محبة الله .

المطلب الثاني: النظر والاعتبار في عواقب المفسدين .

المطلب الثالث: تنفيذ العقوبة المنصوص عليها في الشريعة الإسلامية والقوانين النافذة.

المطلب الرابع: إبراز المقارنات بين أحوال المؤمنين .

المطلب الخامس: النهي عن اتباع سبل وطرق المفسدين.

المطلب السادس: التوعية بما أعده الله من عقوبات أخروية للمفسدين .

ثم الخاتمة: وفيها أهم النتائج ثم فهرس المصادر والمراجع.

هذا والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم وألا يجعل لأحد فيه حظ ولا

نصيب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تمهيد:

ويشتمل على:

أولاً: المفهوم اللغوي والاصطلاحي للفظ الفساد.**١. تعريف الفساد في اللغة:**

الفساد لفظ مشتق من الفعل فسد و"الفاء والسين والdal كلمة واحدة، فسد الشيء يفسد فساداً وفسوداً وهو فاسد وفسيد"(٣).

و"الفساد نقيض الصلاح فسد يفسد ويفسد وفسد فساداً وفسوداً فهو فاسد وفسيد وفيهما وقومٌ فسدى، قال سيويه: جمعوه جمع هلكى لتقربهما في المعنى هو واستفسد فلانٌ إلى فلانٍ وتفاسد وتفاسد القوم تدابروا وقطعوا الأرحام"(٤)، وقد اختلفت عباراتهم في معناه، ف قيل: "فسد الشيء: بطل واضمحَل، ويكون بمعنى تغير"(٥)

ثانياً: تعريف الفساد في الاصطلاح:

اختلفت أقوال العلماء في تحديد المراد بالفساد في الاصطلاح على النحو التالي:

- الفساد: "هو أعم من الظلم، لأن الظلم النقص فإن من سرق مال الغير فقد نقص حق الغير وعليه: (من أشبه اباه فما ظلم): أي فما نقص حق الشبه، والفساد يقع على ذلك، وعلى الابتداع واللهو واللعب، والفاسد: مأخوذ من (فسد اللحم) إذا أنتن ويمكن الانتفاع به"(٦)

- منهم من قال إن الفساد: "بمعنى الجذب، ومنه قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة الروم: ١٤]،

(٣) الكليات (ص: ٦٩٢).

(٤) المحكم والمحيط الأعظم - ابن سيده - ج ٤ ص ٤٥٨.

(٥) تاج العروس - الزبيدي - ج ٨ ص ٤٩٦.

(٦) تاج العروس - الزبيدي - ج ٨ ص ٤٩٦.

قَالَ الرَّجَّاحُ: "معناه ظَهَرَ الْجَدُّ فِي الْبَرِّ، وَالْقَحْطُ فِي الْبَحْرِ، أَي فِي مَدَن الْبَحْرِ الَّتِي عَلَى الْأَنْهَارِ" (٧).

- قال البيضاوي: "والفساد: خروج الشيء عن الاعتدال" (٨)، وقال الطبري: "الفساد هو الكفر والعمل بالمعصية" (٩).

عرفه الأستاذ وهبة الزحيلي تعريفاً أراه جامعاً مانعاً فقال: "يراد به الفساد في الأرض، وهو إظهار معصية الله تعالى وانحراف عن هديه، تقترب بالحق ضرر بالآخرين في أنفسهم وأموالهم، وأحياناً في أعراضهم وكراماتهم" (١٠).

ثانياً: الفساد في السياق القرآني.

إن المتأمل في آيات القرآن الكريم سيلحظ ورود مادة (فسد) بصيغ متعددة في مواطن مختلفة، يهدف كل منها إلى إثبات حقيقة أرادت الآيات الكريمة الإشارة إليها. ولعلي هنا أستعرض ورود مادة فسد في القرآن الكريم ليتضح المراد بها، وقد جاء ورودها على أربع صيغ على النحو التالي (١١):

أولاً: صيغة الفعل الماضي (فسد، أفسد): وقد جاءت أربع مرات في القرآن الكريم على النحو التالي:

١- ﴿لَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٥١].

٢- ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٢].

(٧) تهذيب اللغة - الأزهري - ج ١٥ - ص ١٣٤.

(٨) أنوار التنزيل وأسرار التأويل - البيضاوي - ج ١ ص ٤٦.

(٩) تفسير الطبري ج ١ ص ٢٨٨.

(١٠) التعريف بالفساد وصوره من الوجهة الشرعية - وهبة الزحيلي - ص ٤

(١١) الفساد والمفسدون، بحث من إعداد: ضيائي نعمان السوسى ص ٢٤ وما بعدها (بتصرف)

٣- ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ^٣ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٧١].

٤- ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا^٤ أَذِلَّةً^٤ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [سورة النمل: ٣٤].

ثانيا: صيغة الفعل المضارع: وقد جاء لفظ (الفساد) في القرآن الكريم بصيغة الفعل المضارع أربع عشرة مرة على النحو التالي:

١- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [سورة البقرة: ١١].

٢- ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ^٥ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ^٦ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٧].

٣- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً^٧ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ^٨ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٣٠].

٤- ﴿تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ^٩ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ^{١٠}﴾ [سورة البقرة: ٢٠٥].

٥- ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا^{١١} وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا^{١٢} إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة الاعراف: ٥٦].

٦- ﴿وَإِلَى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا^{١٣} قَالَ يَبْقَوُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ^{١٤} قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ^{١٥} مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا^{١٦} ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الاعراف: ٨٥].

٧- ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ
وَالْهَتَاكَ قَالَ سَنُقْبِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [سورة
الاعراف: ١٢٧].

٨- ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ [سورة
يوسف: ٧٣].

٩- ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ
وَيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [سورة الرعد: ٢٧].

١٠- ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا
يُفْسِدُونَ﴾ [سورة النحل: ٨٨].

١٢- ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لِنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلِنَعْلُنَّ عُلُوًّا
كَبِيرًا﴾ [سورة الاسراء: ٤].

١٣- ﴿وَكُنَّا فِي الْمَدِينَةِ ثَلَاثَةَ أَهْوَاءٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [سورة النمل:
٤٨].

١٤- ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ سورة الشعراء الآيتان: (١٥١ - ١٥٢).
﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [سورة محمد: ٢٢].
ثالثا: صيغة اسم الفاعل:

ورد لفظ الفساد في القرآن الكريم بصيغة اسم الفاعل من الفعل الماضي الرباعي (أفسد فهو
مفسد) في عشرين موضعا على النحو التالي:

١- ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [سورة البقرة: ٦٠]

٢- ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٢].

٣- ﴿إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٦٣]

- ٤- ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة المائدة: ٦٤].
- ٥- ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٧٤].
- ٦- ﴿وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عِقَبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٨٦].
- ٧- ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عِقَبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٠٣].
- ٨- ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِإِخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٤٢].
- ٩- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة يونس: ٤٠].
- ١٠- ﴿فَلَمَّا آلَقُوا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَابِطٌ لَهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة يونس: ٨١].
- ١١- ﴿إِنَّا كُنَّا وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة يونس: ٩١].
- ١٢- ﴿وَيَقَوْمِ أَوفُوا أَلِكِيَالِ وَالْمِيزَاتِ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [سورة هود: ٨٥].
- ١٣- ﴿قَالُوا يَنْذَا الْقُرَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [سورة الكهف: ٩٤].
- ١٤- ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [سورة الشعراء: ١٨٣].
- ١٥- ﴿وَوَحِّدُوا بِهَا وَاسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عِقَبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة النمل: ١٤].

١٦- ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُدَبِّحُ
أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة القصص: ٤].

١٧- ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة القصص: ٧٧].

١٨- ﴿وَالِإِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَفْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا
تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [سورة العنكبوت: ٣٦].

١٩- ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾
[سورة العنكبوت: ٣٠].

٢٠- ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ
كَالْفُجَّارِ﴾ [سورة ص: ٢٨].

رابعا: صيغة المصدر:

ورد المصدر من الفعل الثلاثي (فسد) بصيغة (فسادا) في السياق القرآني أحد عشر مرة على
النحو التالي:

١- ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
الْفُسَادَ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٥].

٢- ﴿مِّنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ
فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَن أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا
النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [سورة المائدة: ٣٢].

٣- ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة المائدة: ٦٤].

٤- ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا
أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِمَّنْ
الْأَرْضِ﴾ [سورة المائدة: ٣٣].

٥- ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَتَهُ عَنْ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ۚ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [سورة هود: ١١٦].

٦- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [سورة الانفال: ٧٣].

٧- ﴿وَاتَّبَعَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة القصص: ٧٧].

٨- ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة القصص: ٨٣].

٩- ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة الروم: ٤١].

١٠- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۚ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [سورة غافر: ٢٦].

١١- ﴿فَاكْثُرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ [سورة الفجر: ١٢].

وبعد هذا العرض لورود مادة (فسد) في القرآن الكريم، فإن من الملاحظ ورود هذه المادة بصيغة الماضي والمضارع واسم الفاعل والمصدر فقط، ولم ترد بصيغة الأمر ولا المبالغة ولا المدح، وذلك أن القرآن إنما جاء حرباً على الفساد وكل ما يؤدي إليه ولم يأمر به في أي حال من الأحوال.

ثالثاً: نماذج فاسدة ذكرت في القرآن الكريم.

كثرت الإشارة في القرآن الكريم إلى مجموعة كبيرة من النماذج التي صنفها المولى ﷺ من أنواع الفساد، وفي هذا تحذير منه سبحانه للمؤمنين من اتباع هذه النماذج، أو السير في ركبها

وسأشير في هذا المطلب بإذن الله إلى مجموعة من هذه النماذج التي وصفها الله تعالى بالفساد فأقول وبالله التوفيق:

النموذج الأول: الطاغية فرعون، جعله المولى تبارك وتعالى نموذجا للفساد والمفسدين، محذرا من سلوك مسلكه أو السير في طريقه، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِّخُّ آبَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة القصص: ٤].

النموذج الثاني: قارون، جعله الله نموذجا لكل مفسد غرته دنياه وماله وسلطته، بأنه مهما عظم فالله أعظم، قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة القصص: ٧٦ - ٧٧].

النموذج الثالث: اليهود، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْفَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة المائدة: ٦٤].

النموذج الرابع: قوم صالح، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْجُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَاتِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٧٤] النموذج الخامس: قوم شعيب، قال تعالى ﴿وَيَقَوْمِ أَوْفُوا أَلْمِيزَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [سورة هود: ٨٥] النموذج السادس: قوم لوط، قال تعالى:

﴿أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [سورة العنكبوت: ٢٩ - ٣٠].

النموذج السابع: المنافقون، قال تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ (١١) ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة البقرة: ١١-١٢].

النموذج الثامن: المسرفون، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (١٥١) ﴿الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [سورة الشعراء: ١٥٢: ١٥١].

النموذج التاسع: السحرة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمُ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ (٨٠) ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة يونس: ٨١: ٨٠].

النموذج العاشر: السارق، قال تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتَنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ [سورة يوسف: ٧٣].

كانت هذه بعضا من النماذج التي ذكرها المولى تبارك وتعالى للمفسدين في الأرض، نسأل الله بجمه وكرمه أن يحميننا من طرقهم.

المبحث الأول: مظاهر الفساد كما صورتها آيات القرآن

المطلب الأول: عدم التأدب مع الله تعالى.

إن الأدب مع الله تعالى "أعلى المراتب، والعاقل: من يكون خُلُقُه وأدبه مع الله تعالى عالياً وهو أصل كل أدب، بل لا يتصف أحد بأدبٍ إن عُدِمَ الأدب مع الله، والأدب مع الله سبحانه هو حُسن الانقياد معه بإيقاع كل حركة على مُقتضى تعظيمه وإجلاله، والحياء منه، وهذا يشمل: القلب، واللسان، والأركان" (١٢).

إن مما افترضه الباري علينا ضرورة تعظيمه سبحانه وتبجيله، إلا أن هناك أصنافا من البشر لا يراعون مع الله أدبا، وقد وصفهم الحق تبارك وتعالى بالمفسدين، قال تبارك وتعالى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعُدَّةَ وَالْبَعْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة المائدة: ٦٤].

(١٢) موسوعة الأخلاق - الخراز (ص: ٢٣٢).

وهنا قد أبانت الآية الكريمة "أن حال هؤلاء اليهود أنهم يجتهدون في الكيد للإسلام وأهله وأنهم يسعون سعياً حثيثاً للإفساد في الأرض عن طريق إثارة الفتن، وإيقاظ الأحقاد بين الناس. والله - تعالى - لا يحب المفسدين بل يبغضهم ويمقتهم، لإيثارهم الضلالة على الهدى، والشر على الخير. وبهذا نرى الآية الكريمة قد ردت على اليهود في نسبتهم البخل إلى الله - تعالى - وبينت أنه - سبحانه - هو الواسع الفضل، الجزيل العطاء وكشفت عن جوانب من رذائلهم وعنادهم وأوضحت أنه - سبحانه - يبغضهم؛ لأنهم يفسدون في الأرض ولا يصلحون" (١٣).
ولك أن تتأمل كيف أدى فساد عقيدة هؤلاء اليهود إلى سوء أدهم مع الله تعالى.

المطلب الثاني: القتل وترويع الناس

وهذه صفة لا تصدر إلا من استوطن الفساد نفسه، فأصبح يتصور أنه مالك العالم يسوم من يشاء منهم سوء العذاب، يذبح الأبناء، ويستحيي النساء، وقد ذكر لنا القرآن الكريم أنموذجاً للنفس البشرية التي استوطنها الفساد فعاثت به بين البلاد والعباد.
يقول تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة القصص: ٤] فلك أن تتأمل كيف حكم الله تعالى على فرعون بعد عرضه سبحانه لما كان منه أعمال جاوزت الحد في الطغيان، لقد حكم عليه بقوله: ﴿مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي: "إن فرعون كان من الراسخين في الفساد والإفساد، ولذلك فعل ما فعل من ظلم لغيره، ومن تطاول جعله يقول للناس: أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى". (١٤).

العلو في الأرض "كناية عن التجبر والاستكبار، ومحصل المعنى أن فرعون علا في الأرض، وتفوق فيها بسط السلطة على الناس، وإنفاذ القدرة فيهم، وجعل أهلها شيعاً ورفقاً مختلفة لا تجتمع كلمتهم على شيء، وبذلك ضعف عامة قوتهم على المقاومة دون قوته، والامتناع من نفوذ إرادته، وهو يستضعف طائفة منهم وهم بنو إسرائيل، وهم أولاد يعقوب عليه السلام وقد قطنوا بمصر منذ أحضر يوسف عليه السلام أباه وإخوته فسكنوها وتناسلوا بها فالذي رفع لافتة الحق الإلهي فرق

(١٣) التفسير الوسيط، طنطاوي، ج ٤ ص ٢١٩

(١٤) التفسير الوسيط، طنطاوي، ج ١٠ ص ٣٧٦

الناس حتي لا يجتمعون على كلمة... وقومه الذين اختلفوا فيما بينهم بعد أن فرقهم فرعون شيعاً و فرقاً مختلفة لم يجتمعوا على شيء إلا على فرعون" (١٥).

ليس هذا فحسب بل "وأغرى بينهم العداوة والبغضاء، كيلا يتفقوا على أمر، ولا يجمعوا على رأى، ويشغل بعضهم بالكيد لبعض، وبذا يلين له قيادتهم، ولا يصعب عليه خضوعهم واستسلامهم، وتلك هي سياسة الدول الكبرى في العصر-الحاضر، وذلك هو دستورها في حكمها لمستعمراتها، وقد نقش حكامها في صدورهم ذلك الدستور الذي ساروا عليه «فرّق تسد» وطالما أجدى عليهم في سياسة تلك البلاد، التي يعمّها الجهل ويطغى على أهلها حب الظهور، ويرضون بالنّفاية والقشور" (١٦).

ويترتب على هذا المنطق منطق تمزيق النسيج الاجتماعي قيما وفكرا الي تشبع نفسية الطاغية بالفرعونية، والشعور بالسيطرة التامة، والملكية الكاملة للوطن والمواطنين، ومن ثم فهو صاحب الحق المطلق في التصرف فيما يملك بدون مساءلة ولا مراجعة كما قال الله ﷻ على لسان فرعون ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْقُومِ آلِيَّ إِلَىٰ مُلْكِي مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٥١].

(١٥) الانحرافات الكبرى القرى الظالمة في القرآن الكريم - سعيد أيوب، (ص١٩٤، ١٩٥).

(١٦) تفسير المراغي - أحمد مصطفى المراغي - (٢٠ / ٣٢).

المطلب الثالث: قطع الأرحام:

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [سورة محمد: ٢٢].

ففي الآية الكريمة قرن الحق سبحانه وتعالى بين الإفساد في الأرض وبين قطع الأرحام وهذا التعبير.. «فَهَلْ عَسَيْتُمْ».. يفيد ما هو متوقع من حال المخاطبين. ويلوح لهم بالإنذار والتحذير..

وكما جعل المولى قطع الأرحام من صور الإفساد في الأرض فقد رتب على ذلك أعظم العقوبات وأشدّها ومنها: اللعن والطرده من رحمة الله تعالى كما أشارت إلى ذلك الآية الكريمة ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [سورة محمد: ٢٢-٢٣].

"وهذا نهى عن الإفساد في الأرض عموماً وعن قطع الأرحام خصوصاً، بل قد أمر الله تعالى بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام وهو الإحسان إلى الأقارب في المقال والأفعال وبذل الأموال" (١٧).

ولذلك أصبح قطع الأرحام من الكبائر قال القاضي عياض - رحمه الله - ولا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة، وقطيعتها معصية كبيرة. والصلة درجات بعضها أرفع من بعض وأدناها ترك المهاجرة وصلتها بالكلام ولو بالسلام، ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة، فمنها واجبة ومنها مستحبة.

وقطيععة الرحم من صفات المفسدين وصفات الفاسقين الذين قال الله عنهم في سورة البقرة: ﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٢٧]

قال ابن أبي جرة - رحمه الله - "صلة الرحم تكون بالمال وبالعون على الحاجة وبدفع الضرر وبطلاقة الوجه مع التحمل على ما يصاب منهم، من القطع والأذى والدعاء، والمعنى الجامع إيصال ما أمكن من الخير ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة، وهذا إذا كانوا أهل استقامة،

(١٧) المسؤولية في الإسلام (ص: ٦٧).

وإذا كانوا فجاراً فبذل الجهد في وعظهم ثم مقاطعتهم مع الإعلام أن ذلك بسبب تخلفهم عن الحق ولا يسقط صلتهم بالدعاء لهم بظهور الغيب إلى أن يعودوا إلى الطريق المثلى" (١٨).

المطلب الرابع: السحر.

﴿السَّحَرُ﴾: يطلق على ما لطف ودق، ويطلق على ما يقع بخداع وتخيلات لا حقيقة لها، مثل ما يفعله المشعوذ من صرف الأبصار عما يتعاطاه بخفة يده، ويكون السحر أيضاً بمباشرة أقوال وأفعال حتى يتم للساحر ما يريد من التأثير على الشخص المقصود، بحيث يغير مزاجه ويؤثر في حواسه ووجدانه، كأن يجد الحلو مرّاً، وينقبض صدره وتضعف قواه، ويكثر اضطرابه (١٩).

يقول الحق تبارك وتعالى على لسان سيدنا موسى ﷺ ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرَ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة يونس: ٨١].
أي فلما ألقوا ما لديهم من العصي والحبال وأظهروا كل ما في طاقتهم من فنون السحر استرهبوا الناس وجاءوا بسحر عظيم. وثقة موسى - ﷺ - بصدق رسالته، وإيمانه بنصر-الله له، وتثبيت الله لقلبه، وتكذيباً لما رموه من السحر قال لهم: الذي جئتم به وبذلتكم في إظهاره أقصى جهدكم هو السحر، ولا يفلح الساحر حيث أتى وتأكيذا لثقتة بتحقيق ما تقدم قال فيما حكاه القرآن عنه ﴿إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ﴾: أي إن الله سيمحق هذا السحر فلا يبقى له من أثر بما يظهره على يدي من المعجزات، فإن الباطل لا يدوم مهما كثر وانتشر.
ثم أكد القرآن الكريم ذهاب هذا السحر وزواله بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾: أي إن الله لا يجعل عمل جميع المفسدين صالحاً للبقاء ثابتاً، بل يزيله ويذهب به، فلا يبقى لباطل هؤلاء السحرة المفسدين أثراً. (٢٠).

ومن وسائل تفتيت المجتمع "نشر الخرافات والتصورات الفاسدة، وحقن الجماهير بها بطرق مختلفة، كالسحر والكهانة والشعوذة، باعتبارها أدوات تجهيل للمجتمع؛ حيث غُطِّت

(١٨) كلمات في الدعوة والمنهاج (٢/ ٦٧)

(١٩) التفسير الوسيط، مجمع البحوث الإسلامية، ج ٤ ص ١٢٦

(٢٠) التفسير الوسيط، مجمع البحوث الإسلامية، ج ٤ ص ١٢٨

تلك الأدوات بأردية مقدسة، وقد أولى فرعون هذه الوسيلة اهتماما كبيرا، لأن السحر والكهانة جزء من النظام القائم على تقديس فرعون، وإعطائه صفة الألوهية والربوبية. فهم-أي السحرة والكهنة-يسحقون وعي الناس سحقا وحشيا، حتى أضحت الجماهير مقيدة العقول! مأسورة في طوق من الخرافات والأوهام والأباطيل، وتلك هي البيئة التي تنمو فيها شخصية فرعون، وكما كان السحر والكهانة سبب في ظهور شخصية فرعون، فهذا أيضا وسيلته المفضلة في تثبيت حكمه ونظامه، ودل على ذلك حشده لهم في مباراة مصرية مع سيدنا موسى عليه السلام. يقول الله تعالى: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّكَ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (٢١)، (٢٢)، فإنشغال الجماهير "وسيلة لإبعادها عن إدراك واقعها المر، فتعيش حياتها لاهية غافلة لا هدف، ولا قضية ولا غاية، فهي في لُهو باطل لا خير فيه، حتى إذا جاءهم الحق استقبلوه بالهزء والسخرية" (٢٣)، وذلك "لتنهي غفلتهم، وفرط إعراضهم عن النظر في الأمور والتفكر في العواقب" (٢٤) قلوبهم لاهية غافلة، يقول الله جل جلاله: ﴿يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٌ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٣].

المطلب الخامس: الانحراف الأخلاقي.

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ طَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَتُونَ أَلْفَ حِشَّةٍ مَّا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٨) أَيْكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّيْلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿[سورة العنكبوت: ٢٨-٢٩].

قال ابن كثير- رحمه الله-: "بعث الله لوطا عليه السلام إلى أهل سدوم، وما حولها من القرى يدعوهم إلى الله تعالى ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من المأثم والفواحش التي

(٢١) سورة الأعراف الآيتان: (١١٤، ١١٣).

(٢٢) شخصية فرعون في القرآن - (ص: ١٤٣).

(٢٣) المرجع السابق نفسه - (ص: ١٤٤).

(٢٤) تفسير البضاوي - (٤/ ٤٥).

اخترعوها؛ فلم يسبقهم بها أحد من بني آدم ولا غيرهم، وهو إتيان الذكور دون الإناث، وهذا شيء لم يكن بنو آدم تعهده ولا تألفه، ولا يخطر ببالهم حتى صنع ذلك أهل سدوم -عليهم لعائن الله-^(٢٥)، وقد وصف الله تعالى تلك الفعلة القبيحة بثلاثة أوصاف:

الأولى: الفاحشة.. قال الله ﷻ:

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٨٠]، وقال الله ﷻ: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [سورة النمل: ٥٤]، وقال ﷻ: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَتَأُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة العنكبوت: ٢٨]. فهي من أكبر الفواحش، وأفحش الكبائر.

والفاحشة هنا: "إتيان ذكران الآدميين في أدبارهم، ولما كان هذا الفعل معهوداً قبحته، ومركزاً في العقول فحشته أتى به معرّفاً بالألف واللام على سبيل المبالغة، كأنه لشدة قبحه جعل جميع الفواحش"^(٢٦).

الثانية: الخبائث: قال تعالى: ﴿وَلُوطًا ءَايَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْقَرَبِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَحْشَىٰ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٧٤]. والخبائث: "جمع خبيثة، وهي ما يكره رداءة وخساسة، يتناول الباطل في الاعتقاد، والكذب في المقال، والقيح في الأفعال"^(٢٧)، فهل هناك أخبث من إتيان الرجل للرجل!!

الثالثة: عمل السيئات:

قال تعالى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [سورة هود: ٧٨]، "فقد عبّر القرآن عن هذا المنكر الذي يفعلونه بالوصف المناسب له، دون أن يذكر اسمه؛ تقززاً له، وصيانة للأفواه أن تتلفظ به، وللأسماع أن يقع عليها، وقد جاء بصيغة الجمع؛ للدلالة على

(٢٥) تفسير القرآن العظيم - (٣/ ٤٤٥) - مرجع سابق.

(٢٦) البحر المحيط - (٩٩/ ٥) - مرجع سابق - بتصرف يسير.

(٢٧) روح البيان - (٥/ ٥٠٢).

أنه منكر غليظ مركب، وأنه ليس سيئة واحدة، بل هو سيئات، وليس منكراً، بل هو منكرات" (٢٨). "فقد صارت لهم دأباً لا يسعون إلا لأجله" (٢٩).

في هذه الآية "عرض لسيرة هؤلاء القوم، وفضح لمخازيهم، وأن هذا الذي جاءوا إليه ليس ابن يومه، وإنما هو داء تعاطاه القوم من قبل، فكان طبيعة غلبت عليهم، حتى لقد صار عادة مألوفة عندهم، وأمر مستقراً فيهم، ليس فيه ما يثير أي إحساس عندهم بالخزي، أو الاستحياء" (٣٠).

فانظر معي في الآية الكريمة كيف يخاطب سيدنا لوط عليه السلام قومه مستنكراً ما هم عليه من انحراف للفطرة السوية بإتيانهم الرجال دون ما أحل الله لهم من النساء، ثم ما ختم به هذا الخطاب من دعائه عليهم ووصفهم بالمفسدين؛ "لَا تَتَّبِعُوا الْفَيْسِدُونَ أَنْفُسَهُمْ يَئِيسَاعَاتِ أَعْمَالِهِمْ وَيُفْسِدُونَ النَّاسَ بِحَمَلِهِمْ عَلَى الْفَوَاحِشِ وَتَدْرِيبِهِمْ بِهَا، وَفِي هَذَا الْوَصْفِ تَهْيِئَةٌ لِلْإِجَابَةِ بِالنَّصْرِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْمَفْسِدِينَ." (٣١)

وقد "كان قوم لوط، أفحش الأقوام العربية فجوراً، وانحرافاً وإسرافاً، فكانوا مع إشراكهم قد انصرفوا عن الفطرة وشدوا عنها؛ ولذا كان أول ما واجههم به نبي الله لوط أن ذكر لهم تلك الجريمة البشعة التي شذوا بها عن الفطرة، والإنسانية، والأخلاق العربية" (٣٢).
فهذه واحدة من أحد المظاهر التي رسمها المولى عز وجل في كتابه للفساد، ذلك الفساد الذي يسيطر على النفس البشرية فيجعلها تعيش حياة بهيمية لا تميز فيها بين الشر والخير وبين الصلاح من الفساد.



(٢٨) ينظر: التفسير القرآني للقرآن؛ عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) - (٦/ ١١٧٨) - بتصرف يسير.

(٢٩) التحرير والتنوير - (١٢/ ١٢٦) - مرجع سابق.

(٣٠) التفسير القرآني للقرآن - (٦/ ١١٧٨) - مرجع سابق.

(٣١) التحرير والتنوير، ج ٢٠ ص ٢٤١.

(٣٢) زهرة التفسير، أبو زهرة، ج ٦ ص ٢٨٩٢.

المبحث: الثاني أسباب الفساد كما تصوره آيات القرآن الكريم وفيه أربعة مطالب:**المطلب الأول: الشرك بالله، واعتقاد تعدد الآلهة**

لقد خلق الله الخلق جميعا لتوحيده والإيمان به والكفر بمن سواه، ثم عبادته وحده لا شريك له وهذا هو الأصل الذي خلق الله الخلق لأجله يقول تبارك وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات: ٥٦] وأي مخالفة لهذه القاعدة هو من باب الإفساد الذي نهى المولى عنه، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٢] "أي لو كان في السموات والأرض إله غير الله لخربتا وهلك من فيهما - ذاك أنه لو كان فيهما إلهان فإما أن يختلفا أو يتفقا في التصرف في الكون، والأول ظاهر البطلان؛ لأنه إما أن ينفذ مرادهما معا فيريد أحدهما الإيجاد والثاني لا يريده فيثبت الوجود والعدم لشيءا مختلفا فيه، وأما أن ينفذ مراد أحدهما دون الثاني، فيكون هذا مغلول اليد عاجزا، والإله لا يكون كذلك، والثاني باطل أيضا؛ لأنها إذا أوجداه معا وجب توارد الخلق من خالقين على مخلوق واحد." (٣٣).

وقوله: ﴿لَفَسَدَتَا﴾، "هذا فساد بعد الوجود، ولم يقل: لم يوجد، ودلت الآية على أنه لا يجوز أن يكون فيهما آلهة متعددة، بل لا يكون الإله إلا واحدا، وعلى أنه لا يجوز أن يكون هذا الإله الواحد إلا الله ﷻ، وأن فساد السماوات والأرض يلزم من كون الآلهة فيهما متعددة، ومن كون الإله الواحد غير الله، وأنه لا صلاح لهما إلا بأن يكون الإله فيهما هو الله وحده لا غير. فلو كان للعالم إلهان معبودان لفسد نظامه كله، فإن قيامه إنما هو بالعدل، وبه قامت السماوات والأرض، وأظلم الظلم على الإطلاق الشرك، وأعدل العدل التوحيد" (٣٤).

فكَمَا اقْتَضَتْ الْحِكْمَةُ الإِلَهِيَّةُ الَّتِي هِيَ "فِي الرُّبُوبِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ التَّوْحِيدَ وَالْوَحْدَانِيَّةَ بِقِطْعَةٍ تَامَةٍ وَأُظْهِرَتْ مُقْتَضَى شَدِيدًا وَدَاعِيَا قَوِيًّا لَهَا كَذَلِكَ الْكَمَالِ الرَّائِعِ الْمَشَاهِدَ لِلْكَوْنِ ابْتِدَاءً مِنَ النُّجُومِ وَالنباتات والحيوانات والأرض والمعادن وانتهاء بالجزئيات والأفراد والذرات يَقْتَضِي - التَّوْحِيدَ وَالْوَحْدَانِيَّةَ بِالْقِطْعَةِ نَفْسَهَا فَهَذَا الْكَمَالُ فِي النِّظَامِ الْمُتَقَنِّ وَهَذَا الانْسِجَامُ الْبَدِيعُ هُوَ شَاهِدُ عَدْلِ

(٣٣) تفسير المراغي، ج ١٧ ص ١٩

(٣٤) شرح الطحاوية - ط الأوقاف السعودية (ص: ٣٩)

وبرهان باهر على تلك الوحانية والفردية فلا يسمح قط لريبة أو لشبهة ذلك لأنه لو كان هناك أي تدخل مما سوى الواحد الأحد لفسد هذا النظام البديع الرصين واختل هذا التوازن المحكم المشاهد في جميع أجزاء الكون فصدق الله العظيم الذي قال ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (٣٥).

فالواجب على كل مسلم اعتقاده هو توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، إذ إن اعتقاد وجود الشريك مع الله تعالى يترتب عليه فساد عظيم، وهو أمر مشاهد ومحسوس في واقع الحياة، إذ لو تسلم زمام الأمر شريكان لهما نفس السلطة لتنازعا الرأي فيه وبطل من أساسه، لهذا كان لزماً توحيد الله وإفراده بالعبادة.

المطلب الثاني: اتباع الهوى.

الهوى: ميل النفس إلى الشهوة، ويقال ذلك للنفس المائلة إلى الشهوة، وقيل: سمّي بذلك؛ لأنه يهوى بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية، وفي الآخرة إلى الهاوية، والهوي: سقوط من علو إلى سفلى، وقوله ﷻ: فَأَمَّهُ هَٰوِيَّةٌ (٣٦).

وفي هذا يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ أَتَّبَعَ الْهَوَاءَ هُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ^١ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٧١] أي "لو عمل الرب تعالى ذكره بما يهوى هؤلاء المشركون، وأجرى التدبير على مشيئتهم وإرادتهم، وترك الحق الذي هم له كارهون، لفسدت السموات والأرض ومن فيهن؛ وذلك أنهن لا يعرفون عواقب الأمور، والصحيح من التدبير والفاسد. فلو كانت الأمور جارية على مشيئتهم وأهوائهم مع إثارة أكثرهم الباطل على الحق، لم تقر السماوات والأرض ومن فيهن من خلق الله؛ لأن ذلك قام بالحق" (٣٧).

(٣٥) حقيقة التوحيد (ص: ١٢٢).

(٣٦) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ص ٨٤٩

(٣٧) تفسير الطبري، ج ١٧ ص ٨٨.

وقال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۖ ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۖ﴾ [سورة الفرقان: ٤٣ - ٤٤]، ولقد عالج النبي ﷺ هذه القضية، وبين ما ينبغي على المسلم أن يلتزم به، وذلك بأن يعتزل كل مظاهر التعصب، ويتجنب أسبابه؛ فقال النبي ﷺ: (إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مَطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤَثَّرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ؛ فَعَلَيْكَ بِخَاصَةِ نَفْسِكَ، وَدَعِ الْعَوَامَ؛ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِمْ أَيَّامًا، الصَّبْرَ فِيهِمْ مِثْلَ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلَ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ) (٣٨).

فالمتبع لهواه لا يقبل إلا تفكيره، ويتمسك به، ولو كان خاطئاً، وبالتالي لا يدع؛ لذا يجب على العلماء العاملين، والدعاة المخلصين، والمثقفين المبدعين؛ نشر ثقافة قبول الآخر، وعدم التعصب للرأي، واللين والرفق، قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا نَفُضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۚ فَأَعِظْ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۚ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ۖ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا، وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَلَا سَخَابًا بِالْأَسْوَاقِ، وَلَا يُجْزَى بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا، وَلَكِنْ يَغْفُو وَيُصْفَحُ) (٣٩).



(٣٨) أخرجه أبو داود في سننه — كتاب: الملاحم — باب: الأمر والنهي — (٣٩٦/٦) حديث (٤٣٤١)، والترمذي في سننه: كتاب: تفسير القرآن عن رسول الله، باب: ومن سورة المائدة، وقال: "هذا حديث حسن غريب".

(٣٩) أخرجه أحمد في مسنده (١٣١/٤٣) حديث (٢٥٩٩٠)، وإسناده صحيح ورجاله ثقات، كما قال محققو المسند. والترمذي في سننه (٣٦٩/٤) — حديث (٢٠١٦) — وقال: حديث حسن صحيح.

المطلب الثالث: فساد الملوك.

الملك: هو المتصرف بالأمر والنهي في الجمهور، وذلك يختص بسياسة الناطقين، ولهذا يقال: مَلِكُ الناسِ، ولا يقال: مَلِكُ الأشياءِ (٤٠).

والملك هو من يقود الشعب، وله أثر كبير في صلاح شعبه أو فساد، لهذا وجب اختيار الناصح الأمين لأمره، وقد بين الحق تعالى هذا الأثر الكبير للملوك بقوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَآةَ أَهْلِهَا آذِلَّةً ۚ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [سورة النمل: ٣٤].

والمراد أن الملوك إذا دخلوا قرية عنوة وقهرا على أهلها "خربوا مبانيها، وغيروا معانيها، وأتلفوا أموالها، وفرقوا شمل أهلها وجعلوا أعزاة أهلها آذلة أي: أهانوا أشرافها، وحطوا مراتبهم، فصاروا عند ذلك آذلة وإنما يفعلون ذلك؛ لأجل أن يتم لهم الملك، وتستحكم لهم الوطأة وتقرر لهم في قلوبهم المهابة." (٤١).

ومن المعلوم أن الإنسان إذا تجرد من التقوى والإيمان، ورأى نفسه في غنى عن الناس؛ فإنه يتجاوز الحد في الطغيان، والظلم والبغي والاضطهاد؛ يغلبه هواه ويقوده طمعه ويسوقه شيطانه يرى في نفسه أنه غير محتاج للذي خلقه ورزقه؛ لاستغنائه بالمال، والمنصب والجاه والسلطان، ومن ثم فليس غريباً عليه أن يقتل وأن يذبح، وأن يستحي وأن يفجر وأن يدمر ويخرب ويشرد، بسبب فساد فساد فساد قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَ طَافٍ ۚ أَن رَّأَاهُ اسْتَغْنَى ۚ﴾ [سورة العلق: ٦]، ولذلك لما سئل الإمام أبو حنيفة - رحمه الله - عن الغنى والفقر قال: "وهل طغى من طغى من خلق الله ﷻ إلا بالغنى وتلاهذه الآية المتقدمة" (٤٢)، وقال الحسن البصري - رحمه الله - "والله ما بسطت الدنيا لعبدا إلا طغى كائنا من كان" (٤٣).

وكان بعض الملوك يمارسون أشد أنواع العذاب والاضطهاد بكل مظاهره من أجل بقاء ملكهم، فهذا النمرود بن كنعان طغى وتجبر، وحاج إبراهيم عليه السلام فقام باضطهاده وسجنه

(٤٠) المفردات في غريب القرآن، ص ٧٧٤

(٤١) فتح التقدير، الشوكاني، ج ٤ ص ١٥٩

(٤٢) المستطرف في كل فن مستظرف - شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبهسي - (٢ / ١٠٦) -

(٤٣) تفسير التستري - أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التستري (المتوفى: ٢٨٣هـ) - (ص ٢٠٠).

وتعذيبهم بكل حماقة وجهالة وكبرياء؛ من أجل بقاء ملكه قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ
إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي
وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمَسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي
كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٨].

إن الذي حمل هذا الأحمق على هذه المحاجة "هُوَ إِيْتَاءُ اللَّهِ - تَعَالَى - الْمُلْكَ لَهُ، فَكَانَ مَنَشَأً
إِسْرَافِهِ فِي عُرُورِهِ وَسَبَبَ كِبَرِيَّائِهِ وَإِعْجَابِهِ بِقُدْرَتِهِ" (٤٤)، وحبه للتملك والتفرد والعلو فكان
نتيجة ذلك الطغيان ومن ثم الاضطهاد بكل صوره.

وهذا فرعون كان حريصاً كل الحرص على حب التملك والتفرد والعلو؛ فتشدد في
الجهامير كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ
لِي يَهْمَنُنْ عَلَى الطَّيْنِ فَأَجْعَلَ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ
الْكَاذِبِينَ﴾ [سورة القصص: ٣٨] حيث كان حب التملك والتفرد والعلو متغلغل في أعماق
فرعون ومسيطر على هواه الأمر الذي حمله على شن حملة شعواء من الاضطهاد والتعذيب،
والقتل والفتك من أجل حب التملك.

المطلب الرابع: ترك موالاته المؤمنين والبراءة من المشركين:

وَ (المُؤَالَاةُ) ضِدُّ الْمُعَادَاةِ، وَ (الْوِلَايَةُ) بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ - النُّصْرَةُ " (٤٥) و"أصل البراءة
البغض وأصل الولاية الحب وهذا؛ لأن حقيقة التوحيد أن لا يحب إلا الله ويحب ما يحبه الله
فلا يحب إلا الله ولا يبغض إلا الله قال تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ
كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [سورة البقرة: ١٦٥] (٤٦).

(٤٤) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) - محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن
منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) - (٣/ ٣٩).

(٤٥) مختار الصحاح، الرزى، ٣٤٥

(٤٦) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج ١٠ ص ٤٦٥

فينبغي لكل مؤمن أن يعلم أن أولياء الله تحب موالاتهم وتحرم معاداتهم، وكذلك فإن أعداء الله تحرم موالاتهم وتحب معاداتهم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [سورة الأنفال: ٧٣].

ومعنى الآية أن "الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ" أي فلا يتولاهم إلا من كان منهم، ففيه إشارة إلى نهى المسلمين عن موالاتهم، وإيجاب مبادعتهم ومصارمتهم، وإن كانوا أقرب، وقد استدل به على أنه لا توارث بين المسلمين والكفار، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ أي إلا تفعلوا ما أمرتكم به من التواصل، وتولي بعضكم بعضا، ومن قطع العلائق بينكم وبين الكفار، تحصل فتنة في الأرض ومفسدة عظيمة؛ لأن المسلمين ما لم يصيروا يداً واحدة على الشرك، كان الشرك ظاهراً، والفساد زائداً في الاعتقادات والأعمال" (٤٧).

ومن هنا نعلم يقيناً أن الله تعالى قرر في كتابه الكريم، أن عدم موالاة المؤمنين والبراءة من المشركين هو من أعظم أسباب الفساد في الأرض، وهل بعد قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ إنذار أكبر وقعاً في النفوس "أَيَّ إِنِّ لَمْ تُجَانِبُوا الْمُشْرِكِينَ وَتَوَالُوا الْمُؤْمِنِينَ وَإِلَّا وَقَعَتْ فِتْنَةٌ فِي النَّاسِ وَهُوَ الْبَاسُ الْأَمْرُ وَاخْتِلَافُ الْمُؤْمِنِينَ" (٤٨).

المبحث الثالث: الأسلوب القرآني في علاج الفساد والنهي عنه

المطلب الأول: حرمان المفسد من محبة الله .

جاء الأسلوب القرآني في علاج الفساد والنهي عنه متنوعاً بين فرض عقوبات دنيوية وأخروية على المفسد، وتوضيح عاقبة المفسد ونفي محبة الله تعالى للفساد بكل صوره وأنواعه في صورة توضيح لنا بجلاء رفض الإسلام الكامل للفساد بكل صوره وأشكاله، ولعلي في هذا المبحث أتناول ما فتح الله من صور رأيته من أساليب القرآن في محاولة تنفير المسلم من سلوك هذا المسلك أياً كانت دواعيه وأسبابه.

عرضنا كثير من الآيات التي تحدثت عن الفساد والمفسدين في نهايتها بالتأكيد على عدم محبة الله للمفسد فقال تعالى في أكثر من موضع: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة المائدة ٦٤]

(٤٧) محاسن التأويل، القاسمي، ج ٥ ص ٣٣٥.

(٤٨) تفسير ابن كثير - (٧ / ١٣١).

وسورة القصص ٦٧] أَيْ "مِنْ سَجَّيْتَهُمْ أَتَّهُمْ دَائِمًا يَسْعَوْنَ فِي الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ" (٤٩)، "وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ السَّاعِيَ فِي الْأَرْضِ بِالْفَسَادِ مَمْقُوتٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى" (٥٠)

ففي هذه الآيات يؤكد المولى ﷺ لنا مقتته وعدم حبه للفساد وأهله، فالله لا يحب المفسدين في الأرض بل يبغضهم ويعاقبهم، ومن ثم لا ينجح سعيهم ولا يصلح عملهم لأنهم يريدون أن يبطلوا حكمته تعالى في صلاح الناس وعمران البلاد. " (٥١)، ومن نفى الله محبته له، فهو ولا محالة هالك في الدنيا قبل الآخرة نسأل الله أن يجيرنا من ذلك بمنه وكرمه.

ولذلك فإن التصدي للفساد والمفسدين، "والسعي لإصلاح أوضاع المجتمعات الإسلامية واجب شرعي وعيني، يجب أن يساهم فيه كل أفراد هذه المجتمعات رجالا ونساء، يقول تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ٧١]، فمن شروط تمام الولاية العامة بين أعضاء المجتمع الإسلامي أن يشارك هؤلاء جميعا في الإصلاح والتصدي للفساد، والتصدي للمفاسد التي استشرت في مجتمعاتنا، وألا نترك لليأس والإحباط منفذا إلى نفوس المسلمين، وأن نُبَيِّن للجميع من خلال ضرب الأمثلة من تاريخ المسلمين أن الإصلاح ممكن، وأن الباطل مهما كبر واستشرى وانتفش فإن الحق سيزهقه ويقضي عليه ويحل محله، فكم من مراحل حرجة مرت بها أمتنا الإسلامية.. استشرت فيها المفاسد، وعظم فيها البلاء على المسلمين، حتى استيأس الناس، لكن بفضل عناية الله تعالى بهذه الأمة وحفظه لدينها، ثم بفضل جهود المصلحين والمصلحات، عادت الأمور إلى نصابها، وعاد الأمل إلى القلوب المؤمنة، ويمكننا ملاحظة ذلك في واقع بعض البلدان الإسلامية التي نجح فيها المصلحون والدعاة في الإصلاح والتغيير (٥٢).

(٤٩) تفسير ابن كثير، ج ٣ ص ١٣٤.

(٥٠) تفسير الرازي، ج ١٢ ص ٣٩٨.

(٥١) حقائق الروح والريحان في روائع علوم القرآن، ج ٧ ص ٣٩٠.

(٥٢) المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى (٩ / ١١٣).

المطلب الثاني: النظر والاعتبار في عواقب المفسدين.

لقد حث المولى تبارك وتعالى على النظر والتأمل في قدرته في الكون على وجه العموم فجاءت أكثر من آية تحث المؤمنين على التأمل بقوله (انظروا، يتفكروا)، وغيرها من الأساليب الداعية للتأمل، إلا أن القرآن جاءنا بالدعوة إلى التأمل في عاقبة المفسدين على وجه الخصوص، حرصاً منه على التنفير من الفساد والإفساد أي كانت صورته وأشكاله فنجده في أكثر من موضع يقول: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة الأعراف ١٠٣ النمل ١٤] أي "انظروا

رسولنا محمداً ﷺ كيف كان عاقبة المفسدين وهي إهلاكهم ودمارهم أجمعين" (٥٣)

والخطاب هنا وإن كان للنبي صلى الله عليه وسلم فإن الأمة داخلة فيه من باب أولى، فهي دعوة؛ لأن يتأمل كل عاقل "مآل هؤلاء الذين أفسدوا في الأرض بالشرك وقتل الأنفس البريئة وتعذيب الضعفاء وسلب الأموال، لا شك في أن مآلهم لا تحيط العقول بأهواله وشدته" (٥٤). وهذه السنن هي آياته سبحانه الدالة على صدق الرسالة، من حيث البرهان على إعجاز الله جل وعلا في الخلق، وعلى تفسير التحولات الاجتماعية، والتغيرات الكونية والحضارية قال تعالى: ﴿سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سورة فصلت: ٥٣].

ولها سيات ثلاث:

أ. الثبات: أي لا تبدل ولا تتغير قال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الذِّكْرِ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَكِنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [سورة الفتح: ٢٣]،

ب. العموم: أي أنها تشمل كل البشر والخلائق، دون تفریق، ودون استثناء، وبلا محاباة قال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [سورة النساء: ١٢٣].

(٥٣) أيسر التفاسير للجزائري - ج ٤ ص ١٠

(٥٤) التفسير الوسيط ج ٣ ص ١٤٨٢.

ج. الاطراد: أي التكرار أينما وجدت الظروف المناسبة مكاناً وزماناً وأشخاصاً وأفكاراً قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٧]، فهذه السنن الإلهية مطردة متلاحقة على نسق واحد لا تبدل لها ولا تغير يعترها، والقصاص القرآني ما هو إلا برهان ثابت، وتطبيق عملي موثوق حول فاعلية تلك السنن.

والله تعالى أراد من عباده أن يفقهوا هذه السنن؛ فأرشدنا ﷺ إلى "أن له في خلقه سنناً يوجب علينا أن نجعل هذه السنن علماً من العلوم المدونة لنستديم ما فيها من الهداية والموعظة على أكمل وجه، فيجب على الأمة في مجموعها أن يكون فيها قوم يبينون لها سنن الله في خلقه كما فعلوا في غير هذا العلم من العلوم والفنون التي أرشد إليها القرآن بالإجمال وقد بينها العلماء بالتفصيل عملاً بإرشاده، كالتوحيد والأصول والفقه، والعلم بسنن الله - تعالى - من أهم العلوم وأنفعها، والقرآن سجل عليه في مواضع كثيرة، وقد دلنا على مأخذه من أحوال الأمم إذ أمرنا أن نسير في الأرض؛ لأجل اجتلائها ومعرفة حقيقتها" (٥٥).

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة النساء: ٢٦] أي: "عليم حكيم في شرعه وقدره، وأفعاله وأقواله" (٥٦).

وأيضاً: من سنن الله التي تجري عليها الوقائع والحوادث هي المسماة في القرآن: (بأيام الله)، وهي تحتاج إلى من يستخرجها، ويعرف بها؛ فإن أيام الله تحتاج إلى من يلحظها، ويذكر الناس بها، وهي تجري على البر والفاجر، والمؤمن والكافر، قال تعالى عن نبيه موسى عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سورة إبراهيم: ٥].

(٥٥) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) - محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا على خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) - (٤/ ١١٦، ١١٥).

(٥٦) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) - (٣/ ٤٤٢).

ومعنى أيام الله في الآية: "وقائع الله في الأمم السالفة، والأيام التي انتقم فيها من الأمم الخالية" (٥٧).

فحين يذكرنا القرآن بأحوال الأمم السابقة وكيف جرت عليهم السنن الإلهية في الكون من ازدهار للحضارات أو انهيار لها، فإن ذلك كان على سبيل التعليم، والإفادة من الدرس والعبرة من التاريخ؛ ليكون تاريخ الإنسان نفسه مجالا رحبا لعمل العقل؛ ليتعرف منه على أساس ازدهار الحضارات وانهيارها، ليعي العبرة من قصص القرآن لهذه السنن وعلاقتها بالأفراد والجماعات. فالكون كله مسرح للعقل وميدان لعمله، وتاريخ الإنسان كله مسرح لنظر العقل والعقل مهياً للسيطرة الكلية على الكون واحتواء تاريخه، فكرا وتأملا، مقدمات ونتائج، علاقات بين الأشياء، أسبابا ومسببات، تسخيرا وتوظيفاً، وتلك مهمة العقل ووظيفته في عالم الشهادة وذلك واجبه الشرعي الذي ندبه القرآن له وحثه عليه وأمره به، وما تواتر العلم به عن الأمم الماضية من أخبار الأنبياء عنهم هو مما يلزم العلم به، وما يتنبأ به العلماء بناء على المشاهدات العلمية المتكررة هو من هذا القبيل بناء على اطراد السنن الإلهية في الكون سواء تعلقت هذه السنن بالظواهر الطبيعية، أو بالمجتمعات البشرية؛ لأن سنة الله في كونه لا تتخلف إذا وجد مقتضي وارتفع المانع، وهذا هو محل اعتبار الإنسان الذي ندبه القرآن إليه (٥٨).

وقد بين الله ﷻ في القرآن الكريم عاقبة المفسدين فقال ﷻ: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ، وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ ۚ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٨٦]، وقد أثار الشيخ الشنقيطي سؤالاً وأجاب عنه، فقال: فإن قيل: الهلاك الذي أصاب قوم شعيب ذكر تعالى في الأعراف أنه رجفة، وذكر في هود أنه صيحة، وذكر في الشعراء أنه عذاب يوم الظلة.

(٥٧) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) - (٩/٣٤٢).

(٥٨) ينظر: الوحي والإنسان - قراءة معرفية - محمد السيد الجليند - (ص٨١: ٧٣).

فالجواب: ما قاله ابن كثير في تفسيره: "وقد اجتمع عليهم ذلك كله أصابهم عذاب يوم الظلة وهي سحابة أظلتهم فيها شرر من نار ولهب ووهج عظيم، ثم جاءتهم صيحة من السماء، ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم، فزهقت الأرواح، وفاضت النفوس، وخذت الأجسام" (٥٩).

ولك أن تتأمل كيف جعل الله عاقبتهم مجهولة تحفيزاً منه تعالى للنظر في عاقبتهم وكيف حكم الله عليهم بالفساد المطلق الذي يتضمن كل أنواع الشرور والآثام. ومن أعظم عقوبات الله تعالى للمفسدين، أنه يمدهم في غيائهم، ولا يصلح عملهم قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة يونس: ٨١].

فتفسد معيشتهم، ولا يهديهم إلى إصلاحها، كما حصل من أهل مأرب، وما كانوا عليه من عيشة رغيدة، وحياة سعيدة، وتقدم مدني، حتى استطاعوا - وقتئذ - أن يبنوا سداً عظيماً، يحيي الله لهم به الأرض بعد موتها... فلما أعرضوا عن الدعوة الحق أفسدوا فضرب الله عليهم السد، وقطعهم في الأرض أعماً، بما كانوا يفسدون (٦٠).

المطلب الثالث: تنفيذ العقوبة المنصوص عليها في الشريعة الإسلامية والقوانين النافذة.

فطلباً للإصلاح، ودفعاً للإفساد، قرر الإسلام عقوبة صارمة لمن يبغي الفساد في الأرض، قال سبحانه: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جَزَاءُ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة المائدة: ٣٤: ٣٣]

ذلك؛ لأن الفساد في الأرض، "يجلب الظلم والقهر، ويدفع إلى الاغتصاب، ويضيع الحقوق، ويشيع الفوضى، فيفقد الأمن، وتضطرب المعاش. ويهلك الحرث والنسل، فلا يستقر للناس قرار، ولا يهدأ لهم حال، لذلك جاءت هذه العقوبة الصارمة للمفسدين، لكي يرتدعوا.

(٥٩) أضواء البيان للشنقيطي (٣٦/٢).

(٦٠) منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر (ص: ٧٩).

والإعراض عن الدعوة، يجلب الفساد في الأرض كلها، وانتقام الله ﷻ، بشتى صور الانتقام، من تسلط الظلمة، وانتشار الأوبئة، وقلة الخيرات، ومحق البركات، وارتفاع الأسعار، ونكد العيش، وتتابع المصائب، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [سورة طه: ١٢٤].

وقال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة الروم: ٤١].

قال ابن كثير - رحمه الله -: "الفساد: يعني انقطاع المطر عن البر، ثم قال: أي: بان النقص في الزروع والثمار، بسبب المعاصي، وقال أبو العالية: من عصى - الله في الأرض، فقد أفسد في الأرض، لأن صلاح الأرض والسما بالطاعة" (٦١).

وتارة يكون انتقام الله مباشراً، بإنزال العذاب بالمفسدين في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَفَرَعُونَ الْأَوْنَادَ ۝١٠ الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبَلَدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [سورة الفجر: ١٠ - ١٤]، أي: إن الله لبالمرصاد لغيرهم من أمثالهم، قال القرطبي: "أي يرصد عمل كل إنسان، حتى يجازيه به، قاله الحسن وعكرمة" (٦٢).

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [سورة الفيل: ١ - ٥].

وتارة يكون بالجوع والخوف، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [سورة النحل: ١١٢]، وتارة يكون انتقام الله من فوق الناس بتسليط الظلمة عليهم، أو بالتفريق والفتن بينهم، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ

(٦١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٤٤، ٤٤٥).

(٦٢) تفسير القرطبي (٢٠/ ٥٠).

عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلِسَٰكُمْ شَيْعًا وَيَذِقَٰ بَعْضُكُم بِأَسَٰ بَعْضٍ أَنظُرْ
كَيْفَ نَصَرِفُ أَلَايَتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْنَ ﴿ [سورة الأنعام: ٦٥]، قال ابن عباس في تفسير هذه الآية:

"أما العذاب الذي من فوقكم فأئمة سوء" (٦٣)، ولقد كان كل عذاب ينزل على الأرض بأي صورة من الصور، إنما هو بأفعال الناس الفاسدة، وهكذا الأمر يكون إلى يوم القيامة.

فالقرآن الكريم يعلنها حرباً شديدة لا هوادة فيها على كل من سعى في الأرض فساداً مرتباً على ذلك العقوبة الدنيوية المتمثلة في القتل أو الصلب أو تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف، بالإضافة إلى العقوبة الأخروية المتمثلة في العذاب العظيم الذي لم يفصح المولى عز وجل عن كنهه لبيان شدته وعظمته أمره.

"ومن رحمة الله بعباده أن يظهر أمر المفسدين، ويكشف خفايا نفوسهم، فيخزهم في الدنيا، ويبطل كيدهم، ويدمر بنيانهم، ليكون ذلك رادعاً وزاجراً للناس، لئلا يتلبسوا بالفساد ويفتن الخلق بهم، ولعل هذه الشدة على المفسدين تردع من كان في قلبه ذرة خير، ليعود إلى رشده ويتوب إلى ربه" (٦٤)

ثم بين آثار هذه العقوبة في الدنيا والآخرة فقال: ﴿لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة المائدة: ٣٣] أي "ذلك الذي ذكر من عقابهم - ذل لهم وفضيحة في الدنيا ليكونوا عبرة وعظة لغيرهم من المسلمين، ولهم في الآخرة عذاب عظيم بقدر تأثير إفسادهم في تدنيس نفوسهم وتدنيسها وظلمة أرواحهم بما اجترحت من الذنوب والآثام" (٦٥).

المطلب الرابع: إبراز المقارنات بين أحوال المؤمنين:

تعالى: ﴿أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [سورة ص: ٢٨] أم في الآية للإضراب الانتقالي والمعنى: "أنجعل من آمنوا برهم واعتقدوا أنه الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا شريك له في ملكه، وأصلحوا أعمالهم فأدوا ما يجب للخلق والخالق واتسمروا بما أمر به رهم على لسان أنبيائه وانتهوا عما نهوا عنه، فلم يدسوا

(٦٣) أخرجه ابن جرير (١١ / ٤١٧) من طريقين عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦٤) الفساد والمفسدون، ص ٢٣٩

(٦٥) تفسير المراغي، ج ٦ ص ١٠٧

أنفسهم بفعل شيء من كبائر الآثام خوفا من يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت، ولا تقبل الشفاعة ولا الفداء من أحد ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلَزَمْتَهُ طَبْعُهُ فِي عُقْفِهِ ۖ وَخُجِّجَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿[سورة الإسراء: ١٣-١٤]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَدِيقِهِ ۖ وَبَيْنَهُ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ أُمْرٍ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [سورة عبس: ٣٤ - ٣٧] كمن كفروا به وعاثوا في الأرض فسادا، وهاموا فيها على وجوههم، لا دين يمنعهم، ولا زاجر يردعهم، إذ هم ينكرون الجزاء والحساب والإعادة بعد الموت الأولى ويقولون: "ما هي إلا أرحام تدفع، وأرض تبلع، وما يهلكنا إلا الدهر، فأنى لمثل هؤلاء أن يرفعوا عن عَمِي، أو يكفوا عن معصية؟ بل هم جهد استطاعتهم يحصلون على اللذات، ويجترحون السيئات، بما وسوس إليهم به الشيطان، أن لا حلال ولا حرام، ولا جنة ولا نار، فما هذه إلا أساطير الأولين، وخزعבלات الموسوسين المترمتين وإذا كان هذا حقا واقتضته الحكمة وأوجبته العدالة، فلا بد من دار أخرى يجازى فيها المطيع، ويثاب على ما عمل، ويعاقب فيها العاصي على ما دنس به نفسه من شرك بربه، واجتراح للإثم والعصيان ومخالفة أمر الواحد الديان.

والعقول السليمة، والفطر الصحيحة ترشد إلى هذا وتؤيده، وتدلل عليه وتثبتته، فإننا نرى الظالم الباغي قد يزداد في دنياه مالا وولدا، ويتمتع بصنوف اللذات، من الدور والقصور، والفراش الوثير، والسكن في الجنات، ويركب فاره الخيول المطهّمة والمراكب الفاخرة، ويشار إليه بالبنان، بينما نرى المطيع لربه، المظلوم من بنى جنسه قد يعيش عيش الكفاف، ولا يجد ما يقيم به أوده، ويسدّ به مخمصته، أفيكون من حكمة الحكيم العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة أن يترك الناس سدى يفعلون ما شاءوا بلا حساب ولا عقاب، أو يتتصف للمظلوم من الظالم ويرجع الحق إلى صاحبه؟ وربما لا يحصل هذا في الدنيا، فلا بد من دار أخرى يكون فيها العدل والإنصاف، والكيل بالقسط والميزان، وتلك هي الدار التي وعد بها الرحمن، على السنة رسله الكرام، صدق ربنا، وإن وعده الحق، وإن هذا اليوم آت لا شك فيه، لتجزى كل نفس بما كسبت، لا ظلم اليوم" (٦٦)

(٦٦) تفسير المراغي، ج ٢٣ ص ١١٦.

فهنا دلت الآية الكريمة أنه لا يمكن بحال من الأحوال أن يتساوى حال المؤمن والفاقد في الدنيا والآخرة، وإن حصل للمفسد من اللذات في الدنيا ما لم يحصل للمؤمن إلا أن الآخرة هي دار الجزاء والحساب، وفيها سيوفى كل عامل جزاء عمله فالعبرة بالخواتيم.

المطلب الخامس: النهي عن اتباع سبل وطرق المفسدين .

قال تعالى محذرا من اتباع طرق وسبل المفسدين ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة الاعراف ١٤٢] وفي هذه الآية "تحذير من الفساد بأبلغ صيغة؛ لأنه جامعة بين نهْي - والنهي عن فعل تنصرف صيغته أول وهلة إلى فساد المنهي عنه - وبين تعليق النهي باتباع سبل المفسدين، والإتباع أصله المضي على حلف مآش، وهو هنا مستعار للمشاركة في عمل المفسد، فإن الطريق مستعار للعمل المؤدي إلى الفساد والمفسد من كان الفساد صفة، فلما تعلق النهي بسلك طريق المفسدين كان تحذيرا من كل ما يستروح منه مآل إلى فساد، لأن المفسدين قد يعملون عملا لا فساد فيه، فنهى عن المشاركة في عمل من عرف بالفساد؛ لأن صدور عني المعروف بالفساد، كاف في توقع إفضائه إلى فساد. ففي هذا النهي سد ذرائع الفساد، وسد ذرائع الفساد من أصول الإسلام، وقد عني بها مالك بن أنس وكررها في كتابه واشتهرت هذه القاعدة في أصول مذهبه، فلجزم أن كان قوله تعالى: وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ جامعا للنهي عن ثلاث مراتب من مراتب الإفضاء إلى الفساد وهو العمل المعروف بالانتساب إلى المفسد، وعمل المفسد وإن لم يكن مما اعتاده، وتجنب الإقتراب من المفسد ومخالطته" (٦٧).

وعلى هذا يكون معنى الآية الكريمة "لا تسلك طريق الذين يفسدون في الأرض بمعصيتهم ربهم، ومعونتهم أهل المعاصي على عصيانهم ربهم، ولكن اسلك سبل المطيعين ربهم" (٦٨).

المطلب السادس: التوعية بما أعده الله من عقوبات أخروية للمفسدين .

(٦٧) التحرير والتنوير، ج ٩ ص ٨٨

(٦٨) تفسير الطبري، ج ١٠ ص ٤١٦

إن الناظر في القصص القرآني: يجد حديث القرآن الكريم عن المفسدين من الأمم السابقة ذكرها القرآن الكريم للتوعية بما أعده الله من عقوبات أخروية لهؤلاء المفسدين، "إن معرفة أحداث التاريخ وتحليل الوقائع والأسباب؛ له فائدة كبرى في علاج أمراض الشعوب والأمم، فالعقلاء: هم الذين يتأملون بما حدث، ويفكرون بما وقع ويدرسون الأسباب والنتائج دراسة متأنية قائمة على البحث والتمحيص؛ للحذر مما وقع، ولرسم سياسة المستقبل، في ضوء مجريات الأمور، وهذا ما جعل القرآن الكريم يعنى بقصص الأقدمين؛ ليعرف من يأتي بعدهم سبب الداء والدواء وطريق الحذر واليقظة" (٦٩).

وهذا الأسلوب سلكه موسى عليه السلام في دعوة قومه كما أخبر بذلك القرآن الكريم قال تعالى حكاية عنه: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا نَبُؤُا الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِيْنَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِيْ أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [سورة إبراهيم: ٩] "يقول الحق جل جلاله، حاكيا عن نبيه موسى عليه السلام في تذكير قومه، أو من كلامه تذكيرا لهذه الأمة: ألم يأتكم نبؤا الذين من قبلكم: ما جرى عليهم حين عصوا أنبياءهم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم كقوم شعيب، وأمم كثيرة لا يعلمهم إلا الله لكثرة عددهم، واندراس آثارهم. ولذلك قال ابن مسعود: كذب النسابون. جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات الواضحات، فردوا أيديهم في أفواههم ليعضوا عليها غيظا مما جاءت به الرسل، كقوله: عضوا عليكم الأنامل من الغيظ، أو: وضعوها عليها تعجبا منهم، أو: استهزاء بهم، كمن غلب عليه الضحك، أو إسكاتا للأنبياء، وأمرأ لهم بإطباق الأفواه، أو: ردوها في أفواه

(٦٩) التفسير الوسيط - دوهبة بن مصطفى الزحيلي - (٢/ ١٦٥٢) - دار الفكر - دمشق - الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ .

الأنبياء، يمنعونهم من التكلم، أو: ردوا أياديهم، أي: نعم الأنبياء عليهم، وهي: مواعظهم والشرائع التي أتوهم بها من عند الله، ردوها في أفواه الأنبياء حيث كذبوها، ولم يعملوا بها، كما تقول لمن لم يمثل أمرك: ترك كلامي في فمي وذهب" (٧٠).

وسلك هذا الأسلوب أيضاً: مؤمن آل فرعون لما قال كما أخبر الله ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَتَقَوَّمُ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ [سورة غافر: ٣٠]. وتذكير مؤمن آل فرعون لقومة بمثل هذه السير والحال انه لم يذكر في الآيات ما يدل علي وحي أو الهام له وأن الداعية حين يعرض هذه السير علي المخاطب بهذا النحو فإنه يذكر ما يمكن للمخاطب أن يتذكره فيدل ذلك على

- أن فرعون وقومه علي جانب من المعرفة بمثل هذه السير

- وأن مؤمن آل فرعون استغل معرفتهم هذه فاخترها للعة والاعتبار

ويخطو مؤمن آل فرعون من جديد الي مرحلة الوعيد بما يلقونه في الآخرة بعد أن عرفوا أمرين الأول: أن بأس الله سبحانه وتعالى إذا جاء فلا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، والثاني: إن سير السابقين، وما حدث للمفكرين علي الدعوات دليل علي ذلك قال الله تعالى: ﴿وَيَتَقَوَّمُ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّارِ يَوْمَ تُؤْلَوْنَ مُدْرِيْنَ مَا لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِّنْ عَاصِرٍ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَآلَهُ مِّنْ هَادٍ﴾ [سورة غافر: ٣٢-٣٣] (٧١).

ولذلك كانت العبرة بهلاك السابقين المفسدين من أقوام الأنبياء- عليهم السلام -؛ لأنهم لم يستجيبوا لهم وحاولوا قتلهم وإخراجهم، واضطهادهم، وانزال الإيذاء البدني والنفسي بهم، فجعلهم الله آية للمعتبرين، قال تعالى في شأن المنافقين الذين كانوا يضمرون الكيد والإيذاء للنبي ﷺ ﴿الَّذِينَ هُمْ يُؤْتُونَ مِّنْ قَوْلِهِمْ قَوْلَ نَوْجٍ وَعَادٍ وَتُسَمُّوهُمُ بِأَسْمَاءِهِمْ وَأَصْحَابِ مَدِينٍ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ

(٧٠) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد- (٣/ ٤٦) .

(٧١) في موكب النبيين - (٢/ ١٣٤) .

يَظْلِمُونَ ﴿سورة التوبة: ٧٠﴾، فأنزل الله بهم "أشد العقوبات، وأفطع المثالات، فمنهم من أغرقه، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من أهلك بالريح العقيم، ومنهم من خسف به الأرض، ومنهم من أرسل عليه عذاب يوم الظلة، فليعتبر بهم هؤلاء المكذبون، أن يصيبهم ما أصابهم، فإنهم ليسوا خيرا منهم" (٧٢).

(٧٢) تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن - (ص: ٥٤١).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأفضل صلاة وأزكى تسليم على حبيبنا وقرّة أعيننا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

وبعد أن عشت في رحاب آيات من القرآن الكريم تناولت موضوع الفساد، آن الأوان أن أحط الحال معلنة عن مجموعة من أهم النتائج وأبرز التوصيات.

أولاً: أهم النتائج:

١. ورد لفظ الفساد في القرآن بأكثر من صيغة، بصيغة الماضي والمضارع واسم الفاعل والمصدر، ولم ترد بصيغة الأمر ولا المبالغة ولا المدح.
٢. كثرت الإشارة في القرآن الكريم إلى نماذج فاسدة تحذيراً من اتباع منهجهم أو سلوك طريقهم.
٣. للفساد أسباب عدة تؤدي إلى ظهوره في المجتمع وليس سبباً واحداً وإن كانت كلها في الأصل تعود إلى ضعف الإيمان وقلة الصلة بالله تعالى.
٤. يظهر الفساد في المجتمع في مظاهر مختلفة من الانحراف الجنسي والسحر والسرقة فمتى ما وجدت هذه المظاهر في مجتمع ما كان الحكم عليه بالفساد.
٥. اتخذ القرآن الكريم منهجاً فريداً في النهي عن الفساد وفي علاجه إذ الوقاية من وقوعه بداية خير من العلاج.
٦. فإن انتشار الفساد في المجتمع نذير خطر ورسول قحط وعقوبة ربانية عامة.

ثانياً: التوصيات:

١. ضرورة الاعتصام بالله ﷻ؛ لأنه أساس النصر والتمكين، فما اعتصم أحد بالله إلا ونصره الله ﷻ.
٢. يجب على الأمة الأخذ بأسباب العلم والقوة؛ ليتحقق النصر، والاستقرار والأمن في الأوطان، فيتوفر الطمأنينة، ويعم الرخاء.
٣. ضرورة العمل على محاربة الفساد بشتى الوسائل والسبل وعلاجه في ضوء القرآن الكريم.

٤. توجيه نظر الباحثين إلى قراءة القصص القرآني - قراءة عصرية واستخراج ما فيها من درر تفيد الإسلام والمسلمين، واستلهم الدروس والعبر؛ للاستفادة منها وإسقاطها على الواقع، وفي ذلك إضافة للمكتبة الإسلامية .
٥. قيام المؤسسات بوضع خطط للتعامل مع الفساد الإداري مستمدة ومستفادة من منهج الأنبياء والرسل - عليهم السلام - في مواجهة الفساد .



المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم:

ثانياً: أهم المصادر والمراجع.

١. ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
٢. ابن عاشور: محمد الطاهر، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ بيروت، لبنان الطبعة الأولى.
٣. ابن كثير: إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
٤. أبو بكر الجزائري: جابر بن موسى، أيسر التفاسير لكلام علي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الخامسة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٥. أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) سنن أبي داود - المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد
٦. أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى، دار النشر: دار الفكر العربي.
٧. أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) مسند الإمام أحمد بن حنبل - المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون - إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي - الناشر: مؤسسة الرسالة - الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٨. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي - تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش - دار الكتب المصرية - القاهرة - الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
٩. أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التستري (المتوفى: ٢٨٣هـ) - تفسير التستري - تحقيق: محمد باسل عيون السود - منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤٢٣هـ.
١٠. أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.
١١. أحمد مصطفى المراغي تفسير المراغي - مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر - الطبعة: الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.
١٢. الأزهرى: محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام هارون.

١٣. بديع الزمان سعيد النورسي (المتوفى: ١٣٧٩هـ) - حقيقة التوحيد أو التوحيد الحقيقي
١٤. البضاوي: عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشي، دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨هـ
١٥. خالد بن جعة بن عثمان الخراز - مَوْسُوعَةُ الْأَخْلَاقِ - مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت - الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
١٦. الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى.
١٧. الرازي: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
١٨. الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن تحقيق عدنان الداودي، دار القلم الدار الشامية بيروت، الطبعة الأولى.
١٩. الزبيدي: محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٧م.
٢٠. الزحيلي: وهبة الزحيلي، التعريف بالفساد وصوره من الوجهة الشرعية، بحث مقدم إلى المؤتمر العربي الدولي لمكافحة الفساد في أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ١٤١٤هـ.
٢١. سعيد أيوب، الانحرافات الكبرى القرى الظالمة في القرآن الكريم - دار الهادي بيروت الطبعة الأولى: ١٩٩٢م، ١٤١٢هـ.
٢٢. سيد أحمد الكيلاني - في موكب النبيين - دراسة تحليلية هادفة لسير الأنبياء السابقين في ضوء الآيات القرآنية والثابت من الأحاديث النبوية والثابت من الأحاديث الشريفة - در القلم الكويت - الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٢٣. شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبهسي - المستطرف في كل فن مستظرف - تحقيق: د. مفيد محمد قميحه - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الثانية: ١٩٨٦.
٢٤. الشوكاني: محمد بن علي، فتح القدير، دار ابن كثير بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
٢٥. ضيائي نعمان، الفساد والمفسدون، رسالة ماجستير
٢٦. الطبري: محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٢٧. عبد الغني بن طالب بن حمادة بن إبراهيم الغنيمي الدمشقي الميداني الحنفي (المتوفى: ١٢٩٨هـ) شرح العقيدة الطحاوية للميداني - المحقق: محمد مطيع الحافظ \$ محمد رياض المالح الناشر: دار الفكر - دمشق، دار الفكر المعاصر - بيروت - ١٩٩٥م.

٢٨. عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) - التفسير القرآني للقرآن؛ دار الفكر العربي - القاهرة - بتصرف يسير.
٢٩. عدنان بن محمد آل عرعور، منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر، جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٣٠. القاسمي: محمد جمال الدين، محاسن التأويل، تحقيق محمد باسل، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.
٣١. القزويني: أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
٣٢. المسئولية في الإسلام المؤلف: الدكتور عبد الله قادري الأهدل - الطبعة: الثالثة ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
٣٣. مجلة البيان (٢٣٨ عددا) - تصدر عن المنتدى الإسلامي باختصار.
٣٤. مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، التفسير الوسيط، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.
٣٥. محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهري الشافعي، حقائق الروح والريحان في رواي علوم القرآن، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي الناشر: دار طوق النجاة، بيروت - لبنان.
٣٦. محمد السيد الجليلند الوحي والإنسان - قراءة معرفية - دار قباء للطباعة والنشر - والتوزيع (القاهرة) بدون.
٣٧. محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩ هـ) - الجامع الكبير (سنن الترمذي) - المحقق: شعيب الأرناؤوط - عبد اللطيف حرز الله - الناشر: الرسالة العالمية - بيروت سنة النشر: ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ هـ.
٣٨. محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤ هـ) - تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) - الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - سنة النشر: ١٩٩٠ م.
٣٩. محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن، دار نهضة مصر للطباعة والنشر - القاهرة، الطبعة الأولى.
٤٠. المراغي: أحمد مصطفى، تفسير المراغي، دار إحياء التراث العربي بيروت.
٤١. المرسي: أبو الحسن علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ.

Romanization of references

1. Ibn Taymiyyah, Abu al-Abbas Ahmad ibn Abd al-Halim, Investigator: Abd al-Rahman ibn Muhammad ibn Qasim, Publisher: King Fahd Complex for the Printing of the Holy Quran, Medina, Kingdom of Saudi Arabia, Year of Publication: 1416 AH - 1995 AD.
2. Ibn Ashur: Muhammad al-Tahir, Al-Tahrir wa al-Tanwir, History Foundation, Beirut, Lebanon, First Edition.
3. Ibn Kathir: Ismail ibn Umar, Tafseer al-quran al-adheem, Investigation by Muhammad Hussein Shams al-Din, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, First Edition 1419 AH.
4. Abu Bakr al-Jaza'iri: Jabir ibn Musa, Aisr altfaser leklam alaly alkbeer, Library of Science and Wisdom, Fifth Edition 1424 AH - 2003.
5. Abu Dawood Sulayman ibn al-Ash'ath ibn Ishaq ibn Bashir ibn Shaddad ibn Amr al-Azdi al-Sijistani (died: 275 AH) Sunan Abi Dawood - Investigator: Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid
6. Abu Zahra, Muhammad ibn Ahmad ibn Mustafa, Publishing House: Dar al-Fikr al-Arabi.
7. Abu Abdullah Ahmad ibn Muhammad ibn Hanbal ibn Hilal ibn Asad al-Shaibani (died: 241 AH) Musnad Al-Imam Ahmad ibn Hanbal - Investigator: Shu'ayb al-Arna'ut - Adel Murshid, and others - Supervision: Dr. Abdullah ibn Abd al-Muhsin al-Turki - Publisher: Al-Risala Foundation - Edition: First, 1421 AH - 2001 AD.
8. Abu Abdullah Muhammad bin Ahmad bin Abi Bakr bin Farah Al-Ansari Al-Khazraji Shams Al-Din Al-Qurtubi (died: 671 AH) Al-Jami' li Ahkam Al-quran Tafser Al-Qurtubi- Edited by: Ahmad Al-Bardouni and Ibrahim Atfeesh - Dar Al-Kutub Al-Masryia - Cairo - Edition: Second, 1384 AH - 1964 AD.
9. Abu Muhammad Sahl bin Abdullah bin Yunus bin Rafi' Al-Tustari (died: 283 AH) - Tafsir Al-Tustari - Edited by: Muhammad Basil Ayoun Al-Sud - Publications of Muhammad Ali Baydoun - Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah - Beirut - Edition: First - 1423 AH.
10. Ahmad ibn Ali ibn Hajar Abu al-Fadl al-Asqalani al-Shafi'i, Fath al-Bari, Sharh Sahih al-Bukhari, its books, chapters, and hadiths numbered: Muhammad Fu'ad Abd al-Baqi, it was edited, corrected, and printed by: Muhibb al-Din al-Khatib, with comments by the scholar: Abd al-Aziz ibn Abd Allah ibn Baz, Dar al-Ma'rifah - Beirut, 1379.
11. Ahmad Mustafa Al-Maraghi Tafser Al-Maraghi Interpretation - Mustafa Al-Babi Al-Halabi and Sons Press in Egypt - Edition: First, 1365 AH - 1946 AD.
12. Al-Azhari: Muhammad bin Ahmad, Tahdhib Al-Lugha, Edited by: Abdul Salam Haroun.
13. Badī' al-Zaman Sa'id Nursi (died: 1379 AH) – Hqiqat altwheed aw altwheed Al-hqeqi.

14. Al-Baydāwī: Abdullah bin Umar, Anwār al-Tanzīl wa Asrār al-Ta'wīl, edited by Muhammad Abd al-Rahman al-Mar'ashli, Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, Beirut, first edition 1418 AH
15. Khalid bin Jum'ah bin Uthman al-Kharrāz – Mawsouat al-akhlaq - Ahl al-Athār Library for Publishing and Distribution, Kuwait - Edition: First, 1430 AH - 2009 AD
16. Al-Rāzī: Abu Abdullah Muhammad bin Umar, Mafatih al-Ghayb, Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, Beirut, first edition.
17. Al-Razi: Zain Al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Abi Bakr, Mukhtar Al-Suhah, Investigator: Youssef Al-Sheikh Muhammad, Publisher: Al-Maktaba Al-Asriya - Dar Al-Namuthajiyah, Beirut - Sidon, Edition: Fifth, 1420 AH - 1999 AD.
18. Al-Raghib Al-Isfahani: Abu Al-Qasim Al-Hussein bin Muhammad, Al-Mufradat fi Gharib Al-Quran, Investigation by Adnan Al-Dawudi, Dar Al-Qalam, Dar Al-Shamiya, Beirut, First Edition.
19. Al-Zubaidi: Muhammad Murtada Al-Husseini, Taj Al-Arous min Jawahir Al-Qamus, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, First Edition 1424 AH - 2007 AD.
20. Al-Zuhayli: Wahba Al-Zuhayli, Al-taref belfsad wa soureh men al-wghah al-shar'iah, Research Submitted to the Arab International Conference on Combating Corruption at the Naif Arab Academy for Security Sciences 1414 AH.
21. Saeed Ayoub, Al-inherafat al-kubra al-qura al-dhalemh fe al-quran al-kreem- Dar Al-Hadi Beirut, First Edition: 1992 AD, 1412 AH.
22. Sayyid Ahmad al-Kilani – Fi Mawkeb Alnabeyeen - A purposeful analytical study of the biographies of the previous prophets in light of the Qur'anic verses, the established prophetic hadiths, and the established noble hadiths - Durr al-Qalam, Kuwait - First Edition 1404 AH - 1984 AD.
23. Shihab Al-Din Muhammad bin Ahmad Abi Al-Fath Al-Abshihi - Al-Mustatraf fi Kul Fann Mustadhraf - Investigation: Dr. Mufid Muhammad Qamiha - Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah - Beirut - Second Edition: 1986.
24. Al-Shawkani: Muhammad bin Ali, Fath Al-Qadeer, Dar Ibn Kathir Beirut, First Edition 1414 AH.
25. Dia'i Nu'man, Al-fsad wa al-mufsedon, Master's Thesis
26. Al-Tabari: Muhammad bin Jarir, Jami' Al-Bayan 'an Ta'wil Ay Al-Qur'an, Investigation by Dr. Abdullah bin Abdul Mohsen Al-Turki, Dar Hijr for Printing and Publishing, First Edition 1422 AH - 2001 AD.
27. Abdul Ghani bin Talib bin Hamada bin Ibrahim Al-Ghanimi Al-Dimashqi Al-Maydani Al-Hanafi (died: 1298 AH) Sharh Al-aqidah Al-Tahawiyyah le Al-Maydani - Investigator: Muhammad Mut'i Al-Hafiz \$ Muhammad Riyad Al-Maleh Publisher: Dar Al-Fikr - Damascus, Dar Al-Fikr Al-Mu'aser - Beirut - 1995 AD.

28. Abdul Karim Younis Al-Khatib (died: after 1390 AH) – Al-tfser al-qurani le Al-Quran; Dar Al-Fikr Al-Arabi - Cairo - with slight modification.
29. Adnan bin Muhammad Al Arour, Manhaj aldawah fi dhawa alwaqwa almwaaser, Nayef bin Abdulaziz Al Saud International Award for the Prophetic Sunnah and Contemporary Islamic Studies, First Edition, 1426 AH - 2005 AD.
30. Al-Qasimi: Muhammad Jamal Al-Din, Mhasen al-tawel, edited by Muhammad Basil, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, first edition 1418 AH.
31. Al-Qazwini: Ahmad bin Faris, Muagam mqai'ies allugah, edited by Abdul Salam Harun, Dar Al-Fikr, 1399 AH - 1979 AD.
32. Al-ms'oliih fe Al-Islam, Author: Dr. Abdullah Qadri Al-Ahdal - Edition: Third 1412 AH 1992 AD.
33. Mgalat Al-Bayan (238 issues) - Issued by the Islamic Forum in Brief.
34. Magmo'uah men al-ulma'a be Ishraf mugama' al-bhouth al-islamiiah belazhar, Al-tfser al-wseet Publisher: General Authority for Amiri Printing Affairs Edition: First, 1393 AH - 1973 AD.
35. Muhammad Al-Amin bin Abdullah Al-Armi Al-Alawi Al-Harari Al-Shafi'i, Had'iq al-rouh walrihan fe rwabe ulom al-quran, Supervision and Review: Dr. Hashim Muhammad Ali bin Hussein Mahdi Publisher: Dar Tawq Al-Najat, Beirut - Lebanon.
36. Muhammad Al-Sayyid Al-Jalind Al-wahy walinsan - A Cognitive Reading - Dar Quba for Printing, Publishing and Distribution (Cairo) without.
37. Muhammad bin Isa bin Sawra bin Musa bin Al-Dahhak, Al-Tirmidhi, Abu Isa (died: 279 AH) – Al-gami' al-kbeer (Sunan Al-Tirmidhi) - Investigator: Shuaib Al-Arnaout - Abdul Latif Harz Allah - Publisher: Al-Risalah Al-Alamiyah - Beirut Year of publication: 1430 AH - 2009 AH.
38. Muhammad Rashid bin Ali Reda bin Muhammad Shams al-Din bin Muhammad Baha al-Din bin Munla Ali Khalifa al-Qalamuni al-Husayni (died: 1354 AH) – Tafser al-quran al-hakeem (Tafser al-Manar) - Egyptian General Book Authority - Year of publication: 1990 AD.
39. Muhammad Sayyid Tantawi: Al-tfser al-wset le Al-Quran, Dar Nahdet Misr for Printing and Publishing, Cairo, First Edition.
40. Al-Maraghi: Ahmad Mustafa, Tafser Al-Maraghi, Dar Ihya al-Turath al-Arabi, Beirut.
41. Al-Mursi: Abu al-Hasan Ali bin Ismail, Al-Muhkam wal-Muhit al-A'dham, edited by Abdul Hamid al-Hindawi, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, First Edition 1421 AH.